معرض النشر للكتاب

ليلى بارع

كاتبات في المهجر
أن تكوني كاتبة مزدوجة الهوية

في إطار الأنشطة التي عرفها معرض النشر للكتاب في دورته 18، عرف الرواق المشترك بين المجلس الوطني لحقوق الإنسان، ومجلس الجالية المغربية بالخارج، ومجلس المنافسة، تنظيم ندوات يومية لفائدة أسماء نسائية مغربية تعيش بالمهجر، وتكتب بلغة الآخر، لكنها تبقى دوما مسكونة بسؤال هويتها الأم، وتمزقها بين الضفتين، ضفة تراها مجرد أقلام أجنبية، وضفة تراها أقلاما تكتب عن بلدها بطريقة فلكلورية.

ثلاثة أسماء، هن حياة اليمني، سهام بوهلال، سعاد بهشار، تكلمن بكل شفافية عن الكتابة والهوية والمتلقي، وهكذا اعتبرت الكاتبة سهام بوهلال الكتابة بمثابة حياة، وحاجة لا يمكن مقاومتها، تلبي إشباعا خاصا لدى الكاتب، وتملأه فخرا بأنه صاحب الكتابة وليس شخصا آخر، لكن دون أن يعني ذلك انفصالها عن الواقع، فحين تكتب عن عالمها تكتب في نفس الوقت عن عالم الآخر، عن نفسها وعن الآخر داخلها. لكن فعل الكتابة يتحول بالنسبة إلى الكاتبة "سعاد بهشار" إلى ألم من نوع خاص، ويعيد إليها الكثير من الذكريات السيئة بسبب الأحكام التي يطلقها الآخرون عليها، من قبيل أنها تكتب بشكل مختلف عن المغاربة، وأيضا بشكل مختلف عن الفرنسيين...لكنها تؤكد تجاوزها لكل هذه الحيرة، واقتناعها بأسلوبها الخاص في الكتابة. حيرة الكاتبة سعاد بهشار تقابلها صلابة نسائية رقيقة تعبر عنها الكاتبة الصفريوية "حياة اليمني" في تعريفها لطبيعة أعمالها المكتوبة بالفرنسية، التي ترى أنها مكتوبة بلغة فرنسية تعتمد على المادة الأصلية التي صنعت منها الكاتبة، أي المادة المغربية، والجديد الذي يقدمه هذا الوضع، هو نظرتها المختلفة للأشياء من حولها، بحكم إزدواجية ثقافتها، وكأنها شاهدة على ما يدور هنا وهناك، مبدية استغرابها من اعتبارها "كاورية" من طرف أبناء بلدتها بصفرو، رغم أنها تنتمي إليهم ولا تحس بأي إختلاف عنهم، مؤكدة أن الأمر مؤلم كثيرا. إن سؤال الهوية المرتبط بالكتابة بلغة الآخر، أعاد سهام بوهلال إلى التأكيد على كون الكتابة لا تكون إلا بما نملكه وبما نحن عليه، وأنها غير سجينة بالمكان، لذلك تعتبر نفسها تكتب بالفرنسية لأن هذا هو واقعها، وما هي عليه، نافية أن يشكل لها الأمر أي إزعاج أو إحساس بالقطيعة مع هويتها المغربية العربية، وقد أبانت الكاتبة عن جرأة كبيرة بقولها أن استقبال القارئ لهذا المفارقة أمر يهمه ولا شأن لها به...وإن كانت الكتابة غير مرتبطة بمكان بالنسبة لسهام بوهلال. فإنها بالنسبة إلى الكاتبة سعاد بهشار مرتبطة على الأقل بوجود غرفة خاصة بالمرأة، كما في مقولة الأديبة فيرجينيا وولف، لافتة النظر إلى الصعوبات التي تجدها المرأة الكاتبة مقارنة بالرجل، فالمرأة لا يمكنها ممارسة شغفها بالكتابة إلا بعد إكمال مهامها كامرأة عاملة، وكزوجة وكأم، مما يجعل الكتابة أمرا صعبا بالنسبة إليها، لكنها مع ذلك تملك دافعا قويا للمضي في إبداعها....من جهتها لم تعر الكاتبة حياة اليمني اهتماما للمكان، ففي غياب الإبداع لا يكون للمكان –مهما كان جميلا– أي دور في العملية الإبداعية، معتبرة لحظة الإلهام لحظة خاصة تداهم الكاتب في أماكن لا تخطر على البال، متذكرة كيف فاجأتها الرغبة في الكتابة بمطار فرانكفورت الدولي، ولمدة أربعة ساعات لم تكن تدرك ما يجول حولها...وإن كانت الكاتبة سهام بوهلال لا تفكر في القارئ أثناء الكتابة، فهي تستدرك الأمر في نهاية الندوة لتؤكد أن عدم تفكيرها في القارئ لا يعني عدم رغبتها بأن تكون مقروءة من طرفه، بل فقط أنها لا ترغب بكتابة ما ينتظره منها ككاتبة بخصائص معينة. أما الكاتبة سعاد بهشار فإنها ترى أن الكتابة حرية تامة، ولا ينبغي للكاتب تقييد نفسه بأية قيود، وإلا فعليه اختيار مهنة أخرى، في حين اعتبرت الكاتبة حياة اليمني، أن الكاتب يرغب بأن يكون مقروءا، لكن الكتابة كفعل هي رغبة مرتبطة بالكاتب.